﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾ [الأنعام: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

أردفَـــتِ الآيــةُ إنذارَ غيرِ المتَّقين، بإكرامِ المتَّقين

بعد ما أمرَه بإنذارِ غيرِ المُتَّقين لعلَّهم يتَّقون، أردف ذلك بتقريبِ المُتَّقين وإكرامِهم، ونهاهُ عن طردِهم[1]، فهذه الآيةُ وسابقتُها فيهما توجيهاتٌ للنَّبيِّ ﷺ في كيفيَّة مُعاملتِه النَّاسَ بالإنذارِ رجاءً في أن يكونوا منَ المتَّقين، وإكرامِ المُتَّقين الذين اتَّبعوه وملاطفتِهمK بالنَّهيِ عن ظُلْمِهم بالطَّردِ تقريبًا لقريشٍ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَا تَطۡرُدِ﴾: (طرد) أصلٌ يدلُّ على إبعادٍ[3]، فالطَّردُ: الإبعادُ والإزعاجُ على سبيلِ الاستخفافِ، يقال: طَرَدْتُهُ، ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ﴾، ﴿فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، طَرَدَهُ السّلطانُ؛ إذا أخرجَه عن بلدِه، وأمرَ أن يُطْرَدَ من مكانٍ حَلَّهُ[4]، نُهِيَ أن يُؤَخِّرَ فقراءَ المسلمين، وأن يُبعدَهم عنه تقريبًا لكفرةِ قريشٍ[5].

2) ﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ﴾: (غدو، غدا) أصلٌ يدلُّ على زمانٍ[6]، وهو ما بينَ صلاةِ الغداةِ وطُلوعِ الشَّمس، يقال: أتيتُه غدوةَ غيرَ مصروفةٍ؛ لأنَّها

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/163، والنسفي، مدارك التنزيل: 1/506، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/521.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/126، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/138.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خزن).
(4) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (طرد).
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/295.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غدو).

معرفةٌ مثلُ سَحَرَ، إلّا أنَّها منَ الظُّروفِ المتمكِّنةِ[1]، وقوبل في القرآن الغُدوُّ بالآصال، نحوَ قولِه: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الأعراف: 205]، وقوبل الغَداةُ بالعشيِّ، قال تعالى: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: 52][2]، والمرادُ أنَّهم يَعبدون ربَّهم بالصَّلاة المكتوبةِ، يعني: صلاةَ الصُّبحِ[3].

3) ﴿وَٱلْعَشِيِّ﴾: (عشو، عشا) أصلٌ يدلُّ على ظلامٍ وقلّةِ وضوحٍ في الشَّيءِ[4]، العَشيُّ: إذا زالَتِ الشَّمْسُ دُعيَ ذَلِك الوَقْتُ العشيَّ، فتحوَّلَ الظِّلُّ شرقيًّا، وتحوَّلَتِ الشَّمْسُ غربيةً، وصلاتا العشيِّ: هما الظُّهْرُ والعصرُ، ويَقَع العشيُّ على ما بين زوال الشَّمسِ إلى وقت غُروبِها، كلُّ ذلك عشيٌّ، فَإذا غابَتِ الشَّمْسُ؛ فَهوَ العِشاء[5]، والعَشيُّ: آخرُ النَّهار[6]، من زوال الشَّمسِ إلى الصَّباحِ، قال تعالى: ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: 46][7]، والمرادُ أنَّهم يَعبدون ربَّهم بالصَّلاةِ المكتوبةِ يعني: صلاةَ العصرِ[8].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُخاطبُ اللهُ تعالى النَّبيَّ ﷺ بألّا تُبْعِدَ عن مجلسِك فقراءَ المسلمين الذين هم في عبادةٍ دائمةٍ للّه، لا تُبعدْهم لتستميلَ أكابرَ المشركين؛ إذ ليس عليك من حسابِ هؤلاء الفقراءِ شيءٌ، إنَّما حسابُهم عند ربِّهم، وما عليهم من حسابك شيءٌ، فإنَّك إن أبعدتَهم عن مجلسِك؛ فإنَّك تكونُ منَ الظالمين بوضعِكَ الشَّيءَ في غير محلِّه ظلمًا لهم، فإنَّ طردَك هؤلاء ليس سببًا لإيمان أولئك[9].

ليس على الرَّسولِ ﷺ من حسابِ الفقراءِ شيءٌ

(1) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (غدا).
(2) الراغب، المفردات: (غدا)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (غدو).
(3) الواحدي، البسيط: 8/162.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غدو).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (عشا).
(6) الخليل، العين: (عشا).
(7) الراغب، المفردات: (عشا)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (عشو).
(8) الواحدي، البسيط: 8/162.
(9) مجموعة من المؤلفين، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/133، والبقاعي، نظم الدرر: 7/129.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوصلِ في الآية:

أهـلُ العبادةِ محلُّ العنايةِ

عطفَ قولَه سبحانه: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ على قولِه ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾؛ لأنَّه في معنى: "أنذِرْهم ولازِمْهم وإن كره ذلك مُتكبِّرو المُشركين"[1]، فالقومُ الذين حُصِرَ الإنذارُ بهم هم أنفسُهم الذين نُهيَ عن طردِهم، للدَّلالةِ على الإنذارِ والملازمةِ لهم، وفيه إيماءٌ إلى النَّبيِّ ﷺ بأن يزهدَ في إنذارِ من لا يخشَى لقاءَ الله تعالى منَ الذين كرهوا جلوسَه إلى ضعَفَةِ النّاسِ.

دَلالةُ التَّعبيرِ بالموصولِ:

أبـانَ القـرآنُ بالموصولِ صفاتِ مـدحِ فـقـراءِ المسلمين

في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ عبَّرَ عنهم بالموصول دونَ الضَّمير، فلم يقلْ: (ولا تطردهم)؛ للدَّلالة على صفاتِ مدْحِهم وبيانِ علَّةِ النَّهي، فقد "أُجريت عليهم هنا صِلةٌ أخرى هي أنسبُ بهذا الحُكمِ منَ الصِّلةِ التي قبْلَها، كما أنَّ تلك أنسبُ بالحكمِ الذي اقترنتْ معه منها بهذا"[2].

وممّا يُذكرُ في تعليل التَّعبير بالاسمِ الموصولِ الإشارةُ إلى هؤلاء المؤمنين الذين نزلتْ بسببِهمُ الآيةُ: صهيب، وعمّار، ومن معهما رضي الله عنهم كما روى ذلك مسلمٌ في صحيحه عن سعدِ بن أبي وقّاص[3] رضي الله عنه، وفي هذا إعلاءٌ وإعلامٌ بمكانتِهم، فصاروا عُنوانًا للعُبوديةِ والإخلاصِ لله ربِّ العالمين.

نكتةُ إيثار ﴿يَدۡعُونَ﴾ على (يعبدون):

الـدُّعـاءُ سبيلُ القُرْبِ منَ الله

عبَّرَ بالدُّعاء في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾؛ لأنَّه الأعمُّ؛ فيشملُ دعاءَ المسألةِ ودعاءَ العبادةِ، وممّا يؤكِّدُ علاقةَ الدُّعاء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/245.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/245.
(3) مسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2413).

بالعبادةِ، قولُه سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: 60]؛ فعدلَ منَ الدُّعاء إلى العبادةِ للدَّلالةِ على أنَّ الدُّعاءَ مخُّ العبادةِ، فوصفَهم ربُّنا بهذا الوصفِ للدَّلالةِ على كمالِ عبوديَّتِهم لربِّهم.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ في قولِه: ﴿يَدْعُونَ﴾:

الـدُّعـاءُ أمـارةُ حُسنِ الصِّلةِ، وتجدُّدِ القُربِ

عبَّرَ بالفعلِ المضارعِ للدَّلالةِ على أنَّ دعاءَهم لربِّهم مُتجدِّدٌ ومُستمرٌّ، فلم ينقطعوا عنه؛ وفي هذا إشارةٌ إلى حُسْنِ صِلتِهم باللهِ وقُربِهم منه.

سرُّ إيثارِ الرُّبوبيَّةِ على الألوهيَّةِ:

وصفُ الرُّبوبيَّة يناسِبُ مقامَ الإنعامِ

عبَّرَ بالرُّبوبيَّةِ؛ لأنَّ المَقامَ مقامُ إنعامٍ وتفضُّلٍ منَ اللهِ - ﷻ - عليهم؛ لأنَّ اللهَ نهى رسولَه ﷺ عن طردِهم؛ وفي هذا إشعارٌ بعلوِّ قدرِهم ورفعةِ مكانتِهم.

دَلالةُ التَّعبيرِ بالنَّهيِ عنِ الطَّردِ دونَ الإبعادِ:

في الـطَّـرْدِ اسـتـخـفـافٌ بالمبعَدِين

عبَّرَ بالنَّهيِ عنِ الطَّردِ دونَ الإبعادِ في قولِه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾؛ لوجودِ فرقٍ بينهما: فالإبعادُ لا يلزمُ منه الاستخفافُ والتَّهوينُ من شأنِ المُبعَدين، بخلافِ الطَّردِ؛ فهو يأتي على سبيلِ الاستخفافِ، وهذا ما طلبَه مشركو مكَّةَ منَ الرّسولِ ﷺ من طردِ هؤلاءِ الضُّعفاءِ استخفافًا بهم.

فائدةُ النَّهيِ في قولِه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾:

في الـنَّـهـيِ قـرعٌ لأسماعِ زعماءِ الشِّرك، وتـمـسُّـكٌ بالفقراء

جاء النَّهيُ إلى النَّبيِّ ﷺ ليقرعَ أسماعَ زعماءِ المشركين، وليُرِيَهم أنَّه ﷺ لن يتخلَّى أبدًا عن هؤلاء الفقراءِ؛ لأنَّهم عند ربِّهم هم أفضلُ من أغنياءِ المُشركين وزعمائِهم.

وفيه إشارةٌ إلى الحفاظِ على هؤلاء المؤمنين وإعطاءِ الرَّسولِ ﷺ الوقتَ كلَّه لهم، وأن يصبرَ نفسَه معهم حتى يقوموا هم.

وفيه إشارةٌ إلى خفَّةِ ميزانِ الكافرين عند الله ﷻ؛ لأنَّ الميزانَ الحقيقيَّ يكونُ بتقوَى الله وبالقُرْبِ منه.

السِّرُّ في ذكرِ وقتَي الغداةِ والعَشيِّ:

الـدَّوامُ على العبادةِ من سِماتِ الصَّالحين بالغداةِ والعَشِيِّ

خصَّ ذكرَ الغداةِ والعَشيِّ في قولِه جلَّ شأنُه ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾؛ لبيانِ فضيلةِ العبادةِ في هذا الوقتِ، وإشعارًا بدوامِهم عليه، "المرادُ بذكرِ الغداةِ والعَشيِّ: الدَّوامُ"[1]، فهو "عبارةٌ عنِ استمرارِ الفعلِ وأنَّ الزَّمنَ معمورٌ به، كما تقولُ: الحمدُ للّه بكرةً وأصيلًا، فإنَّما تريدُ الحمدَ للّه في كلِّ وقتٍ"[2]، والمعنى: أنَّهم يدعون اللّه اليومَ كلَّه، وقُصدَ بهما استيعابُ الزَّمان والأيّام كما يُقصدُ بالمشرق والمغرب استيعابُ الأمكنةِ[3]، فيكونُ التَّقديرُ: الذين يواظبون على ذكر ربِّهم دائمين[4].

وخصَّهُما بالذِّكرِ أيضًا؛ لأنَّ الشُّغلَ فيهما غالبٌ على النّاسِ، ومن كان في هذين الوقتَيْن يغلبُ عليه ذِكرُ اللّه ودعاؤُه كان في وقت الفراغِ أغلبَ عليه[5].

سرُّ التَّقييدِ بالحالِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾:

الإخـلاصُ من أقـوَى مُوجباتِ الإكرام

أفادَ هذا التَّقييدُ بيانَ حالِ الذين نُهِيَ عن طردِهم بقولِه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ بأنَّهم يُريدون وجهَ اللّه تعالى، فهو "حالٌ من ضميرِ ﴿يَدْعُونَ﴾، أي: يدعونَه تعالى مخلصين له فيه، وتقييدُه به لتأكيدِ علّيَّته للنَّهيِ؛ فإنَّ الإخلاصَ من أقوى موجباتِ الإكرامِ المُضادِّ للطَّردِ"[6].

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/27.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/295.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/247.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 6/100.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/432، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/521.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/139.

سرُّ التَّعبيرِ بقولِه: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾:

لما سَلمتِ النِّيّاتُ برزَ الإخلاصُ

دلَّ هذا التَّعبيرُ على أنَّهم "يُريدون ما عندَ اللّه فَشهِدَ لهم بصحَّةِ النِّيّاتِ، وأنَّهم مُخْلِصونَ في ذلك للّهِ"[1]، فعبادتُهم وأعمالُهم للّه، ويتوجَّهون إليه لا لغيرِه، لا يُريدون بذلك عرضًا منَ الدُّنيا[2]

دَلالةُ الإخبارِ بنفيِ حسابِهم عنه:

لا يُؤاخَذُ النَّبيُّ ﷺ بالسَّرائرِ والنِّيّات

أفادَ النَّفيُ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾؛ الرَّدَّ على طعْنِ الكفّارِ في إيمانِ الفقراءِ، بأنَّهم إنَّما آمنوا لأنَّهم يجدون بهذا السَّببِ مأكولًا وملبوسًا عند النَّبيِّ ﷺ فقال اللّه تعالى: إنْ كان الأمرُ كما يقولون، فيلزمُك اعتبارُ الظّاهرِ، وإن كان لهم باطنٌ غيرُ مرضيٍّ عند اللّه، فحسابُهم عليه، لا يتعدَّى إليك، كما أنَّ حسابَك عليك لا يتعدَّى إليهم[3]، والمعنى: إذا كان الأمرُ كذلك فأَقْبِلْ عليهم وجالسْهم، ولا تطردْهم؛ إن أرادوا بصُحبتِك غيرَ وجهِ اللّه؛ فهو كالتَّعليلِ لما قبْله[4]، فيكونُ المعنى: أنَّك غيرُ مؤاخَذٍ بسرائرِهم في كونِهم غيرَ مُخلصين النِّيَّةَ[5].

توجيهُ جملةِ الحسابِ بينَ النَّهيِ وجوابِه:

سوقُ الجُمَلِ الاعتراضيَّةِ تقريرًا للنَّهي عن طردِ فقراءِ المؤمنين، ودفعًا لتوهُّم ضعفِ دينِهم

جاءت جملةُ ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾ اعتراضيَّةً تقريرًا للنَّهي، ودفعًا لأن يكونَ هناك ضعفٌ في دينهم يُسوِّغُ طردَهم، كأقاويلِ الطّاعنين في دينِهم، كدأبِ قومِ نوحٍ حيث قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: 27]"[6].

---

(1) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/251، والزمخشري، الكشاف: 2/27، والنسفي، مدارك التنزيل: 1/506.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/432، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/247.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/542.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/433، والصّاوي، حاشية على تفسير الجلالين: 2/16.

(5) الطيبي، فتوح الغيب: 6/103.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/139.

دَلالةُ الإتيانِ بـ ﴿مِنْ﴾:

أدخلَ على حسابِهم المَنفيِّ ﴿مِنْ﴾ التي للتَّبعيضِ[1]، في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾؛ فأفاد ذلك نفيَ البعضِ، تأكيدًا لنفيِ الكُلِّ مبالغةً، فلمّا انتفَى بعضُ حسابِهم؛ كان ذلك دليلًا على انتفائِه كلّيَّةً.

نَـفـيُ بـعـضِ الحساب دليلُ انتفائِه كلّيًّا

وجهُ تأكيدِ النَّفي:

لما نفَى بعضَ حسابِهم عنه لتأكيدِ نفيِ كُلّيَّتِه، أكَّدَ ذلك النَّفيَ بإدخال ﴿مِنْ﴾ للتَّوكيد، استغراقًا للنَّفي[2]، فهي لتوكيدِ النَّفي، وللتَّنصيص على الشُّمولِ في سياقِ النَّفي[3]، مبالغةً في انتفاءِ أسبابِ طردِهم.

أفـادت (مِـن) تـوكـيـدَ الـنَّـفـي مبالغةً في انتفاءِ أسـبـابِ طـردِ فقراء المؤمنين

بلاغةُ التَّتميمِ في الآية:

دَلالةُ عدمِ الاكتفاءِ بجملة: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، والإتيانِ بقولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فجاءت جملةُ ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾؛ لإفادةِ التَّتميم[4] لقولِه تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾؛ "لأنَّه إنَّما ذُكِرَ لمجرَّدِ تتميمِ الفائدةِ وتأكيدِها، وإلّا فالكلام قد تمَّ بدونِه"[5]؛ إذ إنَّ أصلَ التَّعليلِ قد حصلَ بالجملةِ الأولَى[6]، والغرضُ من ذلك المبالغةُ في بيانِ انتفاءِ كوْنِ حسابِهم عليه ﷺ[7].

المبالغةُ في بيانِ انـتـفـاءِ كـوْنِ حسابِ الفقراء مِـنَ المؤمنين عليه ﷺ

توجيهُ ردِّ العَجزِ على الصّدْرِ:

في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ

(1) النّحّاس، إعراب القرآن: 2/11، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/433.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/127، والنّحّاس، إعراب القرآن: 2/11، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/433.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/249.

(4) التّتميم: "هو الإتيان بجملة عقيب كلام متقدم لإفادة التّوكيد له والتّقرير لمعناه"، وذلك بأن تأخذ في بيان معنًى، فيقع في نفسك أنّ السّامع لم يتصوّرْه على حدّ حقيقته، فتعودَ إليه مؤكّدًا له. يُنظر: العلوي، الطّراز: 3/201.

(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 8/369.

(6) الصاوي، حاشية على تفسير الجلالين: 2/16.

(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/139، والقاسمي، محاسن التأويل: 4/369.

حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ من أنواع التَّحسينِ اللَّفظيَّةِ ردُّ العَجُزِ على الصَّدر[1]، فردَّ آخرَ الجملةِ الثّانيةِ على أوَّلِ الجملةِ الأولَى وهو ﴿عَلَيْكَ﴾، وردَّ أوَّلَ الجملة الثّانية على آخرِ الجملة الثّانية، وهو ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ وغيَّر بين الضَّمائر، كقولِهم: عاداتُ السّاداتِ ساداتُ العاداتِ[2].

ردُّ الآخِر (حسابك، عليهم) على الأوَّلِ (عليك، حسابهم) إبداعٌ في تجميلِ اللَّفظِ

دَلالةُ تقديمِ كافِ الخطابِ في الجُملتَيْن:

في الآيةِ جملتان فيهما تقديمٌ وتأخيرٌ، قولُه جلَّ شأنُه: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، وقولُه تعالى: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فقدَّمَ في كلتا الجُملتين الضّميرَ العائدَ على النَّبيِّ ﷺ تشريفًا له بخطابِه، واعتناءً به، فقدَّمَ خطابَه في الجُملتين، وكان مقتضَى الجملةِ الأولى أن يكون ترتيبُ الجملة الثّانية: (وما عليهم من حسابك من شيء)، لكنَّه "قدَّم خطابَ الرَّسولِ وأمْرَه تشريفًا له عليهم، واعتناءً بمخاطبتِه[3].

في التَّقديم بكافِ الخطابِ علُوُّ قدْرِه وتشريفُ مكانتِه ﷺ

فائدةُ تقديمِ المُسنَدِ على المسنَدِ إليه:

أصلُ الكلام قبْلَ النَّفي: (حسابهم عليك)، وتقديمُ المسنَدِ سيُفيدُ تخصيصَه بالمخاطَب (عليك حسابهم) ليس على غيرِك، ونفيُ هذه الجملة (ما عليك حسابهم) هو نفيٌ لحسابِهم على جهة الاختصاصِ[4]، تأكيدًا لنفي سببِ طردِهم.

في تقديمِ المسنَدِ تخصيصٌ للحسابِ بالمخاطَبِ

توجيهُ التَّعبيرِ بالضَّمير عنِ الفقراء:

الضَّمائرُ في ﴿حِسَابِهِم﴾ و﴿عَلَيْهِم﴾ عائدةٌ إلى "الذين يدّعون

(1) ردّ العجز على الصّدر هو: "أن يجعل أحد اللفظين المكرّرين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أوّل الفقرة، والآخر في آخرها؛ نحو: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: 37]"، يُنظر: عصام الدّين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: 1/115.

(2) الصاوي، حاشية على تفسير الجلالين: 2/16، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/524، والهرري، حدائق الروح والريحان: 8/369.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/524، والقاسمي، محاسن التأويل: 4/370.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/139.

ربَّهم بالغداة والعشيِّ، وهمُ الفقراءُ، وذلك أشبهُ بالظّاهر، والدَّليلُ عليه أنَّ الكنايةَ في قولِه: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عائدةٌ لا محالةَ إلى هؤلاءِ الفقراءِ، فوجبَ أن يكونَ سائرُ الكنايات عائدةً إليهم"[1]، ويُضافُ إلى ذلك أنَّ نفيَ الحساب جاء تعليلًا للنَّهيِ، فلا بدَّ من ترابطِ النَّهيِ وعلَّتِه، فظهرَ أنَّ مرجعَ الضَّمير إليهم.

الفقراءُ ألصقُ بالدُّعاءِ، وأشدُّ في الالتجاء

معنى الفاءِ في الآية:

جاءتِ الفاءُ السَّببيَّةُ مع مدخولِها ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جوابًا للنَّفي في قولِه: ﴿مَا عَلَيْكَ﴾ لبيانِ انتفاءِ ما يكونُ علَّةً لطردِهم[2]، "ومعناه: ما عليك من حسابهم من شيء فتطردَهم، بمعنى: أنَّه لم يكن عليك حسابُهم حتى إنَّك لأجل ذلك الحسابِ تطردُهم"[3]، والآية كقولنا: ما تأتينا فتحدِّثَنا، والمعنى: ما تأتينا فكيفَ تُحدثُّنا؟ أي: لا يقعُ هذا، فكيف يقعُ هذا؟ فحسابُهم لا يقع عليك، فكيف تطردُهم؟[4]

سببيَّةُ الفاء؛ لبيانِ انتفاءِ ما يكونُ عِلَّةً لطردِ الفقراء

بلاغةُ تكرارِ فعلِ الطَّردِ:

تكرَّرَ فعلُ الطَّردِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ وقولِه: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يقلْ: (لا تطردِ الذين يدّعون ربّهم فتكونَ منَ الظّالمين)؛ فأعاد فعلَ الطَّردِ لإفادةِ تأكيدِ ذلك النَّهيِ، وليبنيَ عليه قولَه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لأنَّ الفصلَ بين النَّهيِ وجوابِه طالَ، فكانت إعادةُ الفعل المنهيِّ عنه لبيانِ ارتباطِ الكلام، فحصلَ بإعادة فعْلِ الطَّردِ غرَضانِ: لفظيٌّ ومعنويٌّ[5].

في تَـكـرَار فعلِ الـطَّـردِ إفـادةُ تأكيدِ النَّهيِ

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/542.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/296.
(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/543.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/524.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/251 - 252.

دَلالةُ الفاءِ في قولِه: ﴿فَتَكُونَ﴾:

منْعُ الإنسانِ حقَّهُ ظُلْمٌ

وقعتِ الفاءُ في "جوابِ النَّهي في قولِه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾"[1]، فأفادت أنَّ طردَهم جديرٌ بأن يجعلَك تتَّصفُ بالظُّلم، فتكونَ منَ الظّالمين لهم؛ لأنَّهم لمّا استوجبوا مزيدَ التَّقريب والتَّرحيب؛ كان طردُهم ظُلمًا لهم، فتكونُ منَ الظّالمين لنفسِك بهذا الطَّردِ[2].

علَّةُ جعْلِ الطَّردِ ظُلمًا:

إذا تقرَّرَ عدمُ التَّكليفِ بحسابِ الفقراءِ؛ صارَ طردُهم لأجلِ إرضاءِ غيرِهم ظلمًا لهم

علَّق وصفَه بالظُّلم بطردِهم في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فيقولُ للنَّبيِّ ﷺ: وضعُكَ الشَّيءَ في غير محلِّه ظلمٌ لهم، فإنَّ طردَك هؤلاء ليس سببًا لإيمان أولئك[3]، فإنَّما "جُعل طردُهم ظلمًا؛ لأنَّه لمّا انتفَى تكليفُه بأن يحاسبَهم؛ صار طردُهم لأجل إرضاءِ غيرِهم ظلمًا لهم"[4].

دَلالةُ تأخيرِ جوابِ النَّهي:

عاقبةُ الاستخفافِ بالذين يَدعُون ربَّهم وخيمةٌ

أخَّرَ جوابَ النَّهي المُتضمِّنَ صفةَ الظُّلم في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ ليكون تعقيبًا شاملًا لما قبْلَه، وسوَّغَه تكرارُ لفظِ الطَّردِ في جوابِ النَّفي في الآيةِ، واجتمعَ نهيٌ ونفيٌ وجوابُهما، وجاء جوابُ النَّهي متأخِّرًا، وتقديرُ الكلام: (ولا تَطرُدِ الذين يَدعون ربَّهم؛ فتكونَ من الظالمين)، (وما مِنْ حسابك، عليهم من شيءٍ؛ فتطردَهم)[5]، فأخَّر جوابَ النَّهي؛ ليكونَ كالختامِ الشّاملِ لكلِّ ما جاءَ في الآية، ولأنَّ جوابَ النَّفي - وهو قولُه: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ - تضمَّنَ الفعلَ نفسَه المنهيَّ عنه، وهو قولُه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾، فكان كالدَّليلِ عليه.

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/296.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/543.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/129.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/252.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/434.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»